

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ
وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّائِبُكُمُ
الَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا
دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ [النساء: 23]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

بعد أن بيّنت الآية التي قبلها حرمة التَّزْوِجِ مِمَّنْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ الْآبَاءُ، ناسب أن يشرع في هذه الآية ببيان أصناف النساءِ الْمُحَرَّمَاتِ عَلَى الرِّجَالِ التَّزَوُّجَ بِهِنَّ⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾: الْحَرَامُ: الممنوع، يُقَالُ: حَرَّمَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ حُرْمَةً وَحَرَامًا، أَي: امْتَنَعَ، وَشَيْءٌ مُحَرَّمٌ، أَي: مَمْنُوعٌ، وَأَصْلُ التَّحْرِيمِ: الْمَنْعُ، يُقَالُ: مَكَانٌ حَرَامٌ، أَي: يُمْنَعُ دُخُولُهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَمْتَنِعُ فِيهِ عَنِ الْقِتَالِ، وَضِدُّ الْحَرَامِ: الْحَلَالُ وَالْمُبَاحُ وَالْجَائِزُ⁽²⁾.

(2) ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾: الْأُمُّ: الْوَالِدَةُ الَّتِي وَلَدَتْ الْإِنْسَانَ، وَالْآيَةُ تَشْمَلُ الْجَدَّاتِ كَذَلِكَ.

(3) ﴿وَبَنَاتُكُمْ﴾: الْبِنْتُ: مُؤَنَّثُ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ الْوَلَدُ الذَّكَرُ، سُمِّيَ بِهِ؛ لِكَوْنِهِ بِنَاءً لِلْأَبِ وَمُتَوَلِّدًا عَنْهُ، وَالْأُنْثَى مِنَ الْأَوْلَادِ تُسَمَّى ابْنَةً وَبِنْتًا، وَعِنْدَ الْإِطْلَاقِ يَنْصَرِفُ إِلَى الْبِنْتِ مِنَ النَّسَبِ، وَالْجَمْعُ: بَنَاتٌ⁽³⁾، وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ الْبِنْتُ مِنَ الرِّضَاعِ، وَبَنَاتُ الْأَوْلَادِ وَإِنْ سَقَلْنَ.

(1) الخطيب، تفسير القرآني للقرآن: 2/734.

(2) الأزهري، تهذيب اللغة، والجوهرية، الضاح، وابن منظور، لسان العرب: (حرم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بنو).

(4) ﴿وَأَخَوْتُكُمْ﴾: الأخت: أنثى الأخ، وَلَيْسَتْ التَّاءُ فِيهَا بِعَلَامَةِ تَأْنِيثٍ؛ لِسُكُونِ مَا قَبْلَهَا، وَهِيَ صِيغَةٌ عَلَى غَيْرِ بِنَاءِ الْمَذْكَرِ، وَتَأْوُهَا بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ، أَصْلُهَا "أَخَوَةٌ" عَلَى وَزْنِ "فَعْلَةٌ"، فَنَقَلُوهَا إِلَى "فَعْلٍ"، وَأَلْحَقْتَهَا التَّاءَ الْمُبْدَلَةَ مِنْ لَامِهَا بِوَزْنِ "فَعْلٍ"، فَقَالُوا: أُخْتُ، وَهِيَ مَنْ وَلَدَهَا أَبُوكَ وَأُمُّكَ، أَوْ أَحَدُهُمَا، وَقَدْ تَطَلَّقَ أَيْضًا عَلَى الْأُخْتِ مِنَ الرِّضَاعِ، وَالْجَمْعُ: أَخَوَاتٌ⁽¹⁾.

(5) ﴿وَعَمَّتُكُمْ﴾: الْعَمَّةُ: أُخْتُ الْأَبِ، وَاسْتَعَمَّ عَمًّا، وَتَعَمَّمَهُ، أَي: اتَّخَذَهُ عَمًّا، وَأَصْلُ ذَلِكَ مِنَ الْعُمُومِ، وَهُوَ الشُّمُولُ وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ الْكَثْرَةِ، وَيُقَالُ: عَمَّهُمْ كَذَا، وَعَمَّهُمْ بِكَذَا، عَمًّا وَعُمُومًا، وَالْعَامَّةُ سَمُّوا بِذَلِكَ لِكَثْرَتِهِمْ وَعُمُومِهِمْ فِي الْبَلَدِ، وَيَدْخُلُ فِي الْعَمَّاتِ أَخَوَاتُ الْأَبَاءِ وَالْأَجْدَادِ، وَإِنْ عَلَوْنَ، وَالْجَمْعُ: عَمَّاتٌ⁽²⁾.

(6) ﴿وَحَلَّتْكُمْ﴾: الْخَالَةُ: أُخْتُ الْأُمِّ، وَإِنْ عَلَتْ، فَيَدْخُلُ فِيهِنَّ جَمِيعُ أَخَوَاتِ الْأُمَّهَاتِ وَالْجَدَّاتِ.

(7) ﴿وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾: الْإِنَاثُ مِنْ أَوْلَادِ الْأَخِ الشَّقِيقِ، وَالْإِنَاثُ مِنْ بَنَاتِ الْأُخْتِ الشَّقِيقَةِ، وَيَدْخُلُ فِيهِنَّ بَنَاتُ أَوْلَادِ الْأَخِ وَالْأُخْتِ، وَإِنْ سَفَلْنَ، فَهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورَاتُ مُحَرَّمَاتٌ بِالنَّسَبِ اتِّفَاقًا، وَمَا بَقِيَ مُحَرَّمَاتٌ بِالسَّبَبِ، وَهِنَّ:

(8) ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾: أَي: الْمُحَرَّمَاتُ بِالرِّضَاعَةِ، وَالرِّضَاعَاتُ الْمُحَرَّمَاتُ خَمْسُ رَضَعَاتٍ، أَوْ أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ، وَيَكُنُّ فِي سِنِّ الْحَوْلَيْنِ، وَيُلْحَقُ بِالتَّحْرِيمِ بِأُمَّهَاتِ الرِّضَاعَةِ بَنَاتُهَا وَأَخَوَاتُهَا.

(9) ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾: مِنَ الْمُصَاهِرَةِ، فَأُمُّ زَوْجَةِ الرَّجُلِ مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِ بِمَجَرَّدِ أَنْ يَعْقِدَ عَلَى بِنْتِهَا؛ أَي: لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِأُمِّ الزَّوْجَةِ تَحْرِيمًا مُؤَبَّدًا.

(10) ﴿وَرَبِّبْتُكُمْ﴾: الرَّبِيبَةُ: ابْنَةُ امْرَأَةِ الرَّجُلِ مِنْ زَوْجٍ سَابِقٍ، وَالْإِبْنُ: رَبِيبٌ، وَأَصْلُهَا مِنَ الرَّبِّ، وَهُوَ الْإِصْلَاحُ وَالتَّادِيبُ، يُقَالُ: رَبَّ الْوَلَدَ يَرْبِيهِ رَبًّا وَتَرْبِيَةً، أَي: أَصْلَحَهُ وَآدَبَهُ، وَرَبَّيْتُ الْأَمْرَ، أَي: أَصْلَحْتُهُ، وَسُمِّيَتْ رَبِيبَةً؛ لِأَنَّ زَوْجَ أُمِّهَا يَقُومُ بِأُمُورِهَا وَيُصْلِحُ أَحْوَالَهَا غَالِبًا، وَالْجَمْعُ: رَبَائِبٌ⁽³⁾.

(1) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن عثاد، اللحيط، وابن سيده، الحکم: (أخو).

(2) الزاغبي، المفردات: (عم).

(3) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (رب).

11 ﴿حُجُورُكُمْ﴾: جمع حَجْرٍ، والمراد: البيوت؛ أو في ضمانكم وتربيته، ويقال: فلان في حجر فلان، إذا كان يلي تربيته، وذلك أن كل من ربى صبيًا أجلسه في حجره، فصار الحجر عبارة عن التربية، كما يُقال: فلان في حضنة فلان، وأصله من الحِضْن الذي هو الإبط⁽¹⁾.

12 ﴿الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾، أي: جامعتموهن.

13 ﴿فَلَا جُنَاحَ﴾ الحِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدْوَانِ، وَالْجُنَاحُ: الْإِثْمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَيْلِهِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ⁽²⁾.

14 ﴿وَحَلَّتِلْ أَبْنَائِكُمُ﴾: جمع حليلة، والذكر حليل؛ لأن كل واحدٍ حلالٌ لصاحبه، إمَّا بَحْلٌ كُلُّ مِنْهُمَا إِزَارَهُ لِمَا بِهِ، وَإِمَّا بِكَوْنِهِ حَلَالًا لَهُ غَيْرَ حَرَامٍ عَلَيْهِ، وَإِمَّا لِنَزْوِلِهِ مَعَهُ⁽³⁾، والمعنى: وحُرِّمَتْ زوجاتُ أبنائكم.

15 ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾، من: الصُّلْب: وهو عَظْمٌ من لَدُنِ الْكَاهِلِ إِلَى الْعَجَبِ: (العظمة التي عند رأس العَصْعَصِ أسفل الظهر)، أي: ظهوركم، وسُمِّيَ الظَّهْرُ صُلْبًا؛ لِقُوَّتِهِ، وهو تنبيه على أن الولد جزءٌ من الأب⁽⁴⁾، والمعنى: وحُرِّمَتْ زوجةُ الابنِ على أبيه بمجرد العقد اتفاقًا.

16 ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا﴾، أي: وحُرِّمَ عليكم الجمعُ.

17 ﴿بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، فلا يجوزُ للرجل الجمعُ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ من نسبٍ أو رِضَاعٍ.

18 ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أي: إلَّا ما مضى في الجاهلية، فإنه مغفورٌ عنه؛ لأنَّهم كانوا يفعلونه.

19 ﴿غُفُورًا﴾: أَصْلُ الْغُفْرَانِ مِنَ الْغَفْرِ، وهو: التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ وَالْإِدْخَالُ، ومنه سُمِّيَ الْعَفْوُ غُفْرَانًا؛ لِأَنَّهُ سَتْرٌ لِلذَّنْبِ، وَإِدْخَالٌ لِلْعَبْدِ فِي الْعَفْوِ، وَغَفَرَ لَهُ: إِذَا سَامَحَهُ وَعَفَا عَنْهُ⁽⁵⁾،

(1) الواحدي، التفسير البسيط: 6/422.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (جنع).

(3) السمين، عمدة الحفاظ: (حل).

(4) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (صلب).

(5) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب، الزبيدي، تاج العروس: (غفر).

والغفور من أسماء الله الحسنى، ومعناه: الذي يسترُ ذنوبَ عباده، ويتجاوزُ عنها، ويقيهم آثامها، بالعفو عنها، وهو بمعنى الغفار، لكنّه ينبئُ عن نوع مبالغةٍ لا ينبئُ عنها الغفار؛ فالفَعُولُ ينبئُ عن جَوْدَةِ الفعل، وكمالِهِ، وشمولِهِ، فهو بمعنى تامِّ المغفرة⁽¹⁾.

(20) ﴿رَجِيماً﴾: ذو الرَّحْمَةِ الواسِعَةِ للمؤمنين يوم القيامة، والرَّحِيمُ من أسماء الله تعالى، أي: لا يعاقبكم على سيئاتكم إِذَا تُبْتُمْ، وَأَصْلَحْتُمْ، ويعني: كثير المَغْفِرَةِ والرَّحْمَةِ لعباده⁽²⁾.

❁ الْمَعْنَى الإِجْمَالِيَّةُ:

حَرَّمَ اللهُ عَلَيْكُمْ نِكَاحَ أُمَّهَاتِكُمْ وَإِنْ عَلَوْنَ؛ أَي: أُمُّ الْأُمِّ وَجَدُّهَا مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ، وَبَنَاتِكُمْ، وَإِنْ نَزَلْنَ، أَي بَنَّتْهَا وَبَنَتْ بَنَّتِهَا، وَكَذَلِكَ بَنَاتُ الْإِبْنِ وَبَنَاتُ الْبَنْتِ وَإِنْ نَزَلْنَ، وَأَخَوَاتِكُمْ مِنْ أَبَوَيْكُمْ أَوْ مِنْ أَحَدِهِمَا، وَعَمَّاتِكُمْ، وَكَذَلِكَ عَمَّاتُ آبَائِكُمْ وَأُمَّهَاتِكُمْ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَخَالَاتِكُمْ، وَكَذَلِكَ خَالَاتُ أُمَّهَاتِكُمْ وَأَبَائِكُمْ وَإِنْ عَلَوْنَ، وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ، وَأَوْلَادُهُنَّ وَإِنْ نَزَلُوا، وَأُمَّهَاتِكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ، وَأَخَوَاتِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَأُمَّهَاتُ زَوْجَاتِكُمْ سِوَا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ أَمْ لَمْ تَدْخُلُوا بِهِنَّ، وَبَنَاتُ زَوْجَاتِكُمْ مِنْ غَيْرِكُمُ اللَّاتِي يَنْشَأْنَ وَيَتَرَبَّيْنَ فِي بَيْوتِكُمْ غَالِبًا، وَكَذَلِكَ إِذَا لَمْ يَتَرَبَّيْنَ فِيهَا، إِنْ كُنْتُمْ دَخَلْتُمْ بِأُمَّهَاتِهِنَّ، وَأَمَّا إِذَا لَمْ تَدْخُلُوا بِأُمَّهَاتِهِنَّ وَطَلَقْتُمُوهُنَّ، أَوْ مَتَّيْ قَبْلَ الدُّخُولِ بِهِنَّ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ، وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ نِكَاحُ زَوْجَاتِ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَلَوْ لَمْ يَدْخُلُوا بِهِنَّ، وَيَدْخُلُ فِي هَذَا الْحُكْمِ زَوْجَاتُ أَبْنَائِكُمْ مِنَ الرِّضَاعَةِ، وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ الْجَمْعُ بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ مِنَ النَّسَبِ أَوْ الرِّضَاعَةِ - وَثَبِتَ فِي السُّنَّةِ تَحْرِيمُ الْجَمْعِ كَذَلِكَ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا أَوْ خَالَاتِهَا - إِلَّا مَا مَضَى مِنْ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُ، إِنَّ اللَّهَ تَامُّ الْمَغْفِرَةِ لِعِبَادِهِ التَّائِبِينَ إِلَيْهِ، ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ⁽³⁾.

(1) الخطابي، شأن الدعاء ص: 65، وابن عثيمين، شرح العقيدة الواسطية ص: 253.

(2) ابن القيم، مدارج السالكين: 1/34، والعليمي، فتح الرحمن: 2/109.

(3) نخبة من العلماء، التفسير المبسّر، ص: 81، وجماعة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن الكريم، ص: 81.

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

نَكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ ﴿حُرِّمَتْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾:

تَخْتَلِفُ صِيَغُ
التَّحْرِيمِ بِحَسَبِ
حَالِ الْمُخَاطَبِينَ
مِنَ النَّهْيِ عَنْهُ

تَغَيَّرَ أَسْلُوبُ النَّهْيِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنْ سَابِقَتِهَا؛ فَالآيَةُ السَّابِقَةُ وَرَدَ النَّهْيُ فِيهَا بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ الْمُقَرُونِ بِلَا النَّاهِيَةِ ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾. وَهَذِهِ الْآيَةُ وَرَدَ التَّحْرِيمُ فِيهَا بِصَرِيحِ مَادَّتِهِ ﴿حُرِّمَتْ﴾، وَالْفَرْقُ بَيْنَ التَّعْبِيرَيْنِ؛ أَنَّ صِيغَةَ (لَا تَفْعَلْ) نَهْيٌ بِصِيغَةِ الْمَضَارِعِ الدَّالُّ عَلَى زَمَنِ الْحَالِ، فَيُؤْذَنُ بِالتَّلَبُّسِ بِالْمَنْهِيِّ، أَوْ إِمْكَانِ التَّلَبُّسِ بِهِ، بِخِلَافِ ﴿حُرِّمَتْ﴾؛ فَإِنَّهُ دَالٌّ عَلَى أَنَّ تَحْرِيمَهُ أَمْرٌ مُقَرَّرٌ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: (كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يُحَرِّمُونَ مَا يُحَرِّمُ الْإِسْلَامُ إِلَّا امْرَأَةً الْأَبِ، وَالْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ)، وَلِهَذَا وَرَدَ التَّعْبِيرُ عَنْ حُكْمِ الْجَمْعِ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ بِلَفْظِ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾⁽¹⁾.

سِرُّ بِنَاءِ الْفِعْلِ ﴿حُرِّمَتْ﴾ لِلْمَفْعُولِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾:

مَا لِكَ حَقِّ
التَّحْرِيمِ هُوَ اللَّهُ
تَعَالَى

بُنِيَ الْفِعْلُ ﴿حُرِّمَتْ﴾ لِلْمَفْعُولِ؛ لَكُونِ الْفَاعِلِ مَعْلُومًا لِلْمُخَاطَبِ؛ إِذِ الْمُخَاطَبُونَ بِهَذَا التَّحْرِيمِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ الْمَحْرَمَ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَكَانَ الْأَوَّلَى هُنَا لَفَتْ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى الْمَحْرَمِ نَفْسِهِ؛ لِيَكُونَ أَدْعَى لِلِامْتِثَالِ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ [النساء: 24]⁽²⁾.

تَغْيِينُ الْمُخَذُوفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾:

التَّحْرِيمُ لِلْوَجْهِ
لِلدُّعْيَانِ يُرَادُ بِهِ
تَحْرِيمُ الْفِعْلِ
لِلتَّوَجُّهِ إِلَيْهَا

فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ حَذَفَ، دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ قَبْلُ: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾؛ فَإِنَّ النَّهْيَ عَنِ النِّكَاحِ هُنَا مُفِيدٌ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ﴾

(1) ابن عاشور، التَّحْرِيمُ وَالتَّنْوِيرُ: 4/294.

(2) البَنَاتِي، سُورَةُ النَّسَاءِ: دَرَاةٌ بَلَاغِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ: 1/225.

تحريم نكاحهن، ثم إنَّ الأصل في الحرمة والإباحة إذا أُضيفتا إلى الأعيان؛ فالمرادُ تحريمُ الفعل المطلوبِ مِنْهَا في العُرف، ففي قوله سبحانه: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ﴾ [البقرة: 3] يُراد: تحريمُ أكلهما، وكذا في قوله ﷺ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾؛ فإنَّ المراد: تحريمُ نكاحهن⁽¹⁾.

سِرُّ تَقْدِيمِ الْجَارِّ وَالْمَجْرُورِ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في قولِ الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ﴾ والأصل تأخيرُهُ؛ لِنِكَتَتَيْنِ:

إحداهُمَا: الاهتِمَامُ بِشَأْنِ الْمُخَاطَبِينَ؛ لِيَجِدُوا فِي الْإِمْتِنَالِ.

والأُخْرَى: الحفاظُ على سَلَامَةِ النُّظْمِ مِنَ الْخَلَلِ؛ وذلك لَأَنَّهُ لو أُخِّرَ الجارُّ والمجرورُ مع كثرةِ المرفوعاتِ ﴿أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ﴾؛ لَبُعِدَ عن العامِلِ ﴿حُرِّمَتْ﴾، واختلَّ نظمُ الكلامِ.

نِكْتَةُ اخْتِيَارِ لَفْظِ الْأُمّهَاتِ دُونَ الْوَالِدَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ أُمَّهَاتُكُمْ﴾:

لَمَّا ابْتَدَأَ اللهُ تَعَالَى بِتَعْظِيمِ الْآبَاءِ وَذَلِكَ بِتَحْرِيمِ أَنْ يَنْكَحَ الْأَبْنَاءُ أَزْوَاجَ آبَائِهِمْ عَلَى الْعُمُومِ؛ ثَنَّى بِذِكْرِ الْأُمِّ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾، واختيرَ في عَدِّ الْمُحَرَّمَاتِ كلمةُ (أُمّهَاتٍ)، وأُوثِرَت كلمةُ ﴿وَالْوَالِدَاتِ﴾ في قوله سبحانه: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [البقرة:

233]؛ لأنَّ كلمةَ (الْأُمِّ) تُشْعِرُ بِالتَّقْدِيرِ وَالتَّوْقِيرِ، وَالْإِعْزَازِ وَالْإِجْلَالِ، حَتَّى إِنَّ النَّفْسَ لَتَشْمِزُ وَتَنْفِرُ مِنْ أَنْ تُمَسَّ بِمَا يَشِينُ، فَكَانَتْ أُنْسَبَ كلمةُ تَذَكُّرٍ فِي سِيَاقِ إِيْرَادِ الْمُحَرَّمَاتِ، بِخِلَافِ كلمةِ (الْوَالِدَاتِ)؛

الاهْتِمَامُ
بِالْمُخَاطَبِ يَحْمِلُهُ
عَلَى الْإِمْتِنَالِ

بِقَّةُ اخْتِيَارِ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
لِلدَّلَافِ الْمُنَاسِبَةِ
لِسِيَاقَاتِهَا

(1) الرَّاظِي، مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ: 10/23 - 6/283.

فإنَّهَا تُوجِي إِلَى النَّفْسِ بِأَنَّ مِنَ الظُّلْمِ أَنْ يُنْزَعَ مِنَ الْوَالِدَةِ مَا وَلَدَتْهُ،
وَأَنْ يُصْبَحَ فَوَادُهَا فَارِغًا، وَمِنْ هُنَا كَانَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ مِنْهُمَا مُوَحِّيةً فِي
مَوْضِعِهَا، أَخَذَ خَيْرَ مَكَانٍ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَتَبَوَّاهُ⁽¹⁾.

دَلَالَةُ اللَّامِ فِي «الْأَخ» وَ«الْأُخْتِ» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ»:

اللَّامُ فِي «الْأَخ» وَ«الْأُخْتِ» جِيءَ بِهَا عَوَضًا عَنِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ،
فَمَعْنَى «وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ»: بَنَاتُ أَخِيكُمْ، وَبَنَاتُ أُخْتِكُمْ⁽²⁾،
وَدُخُولُهَا عَلَى الْإِسْمَيْنِ أَضْفَى خُصُوصِيَّةً لَهُمَا وَمَكَانَةً؛ إِذْ كُلُّ الْمَذْكُورَاتِ
أُضِيفَتْ أَسْمَاؤُهُنَّ إِلَى ضَمِيرِ الْخِطَابِ، إِلَّا هَذَيْنِ الْإِسْمَيْنِ.

عِلَّةُ تَسْمِيَةِ الرُّضْعِ أُمًّا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ»:

سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى الْمَارِضِعَ أُمَّهَاتٍ جَرِيًّا عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ، وَمَا هُنَّ
بِأُمَّهَاتٍ حَقِيقَةً، وَلَكِنَّهُنَّ تَنْزَلْنَ مَنْزِلَةَ الْأُمَّهَاتِ؛ لِأَنَّهُ بَلَبْنَهُنَّ تَغَذَّتِ
الْأَطْفَالَ، وَلَمَّا فِي فِطْرَةِ الْأَطْفَالِ مِنْ مَحَبَّةٍ لِمُرْضَعَاتِهِمْ مَحَبَّةٌ أُمَّهَاتِهِمْ
الْوَالِدَاتِ، وَلِزِيَادَةِ تَقْرِيرِ هَذَا الْإِطْلَاقِ الَّذِي اعْتَبَرَهُ الْعَرَبُ.

وَقَدْ قُرِنَ «وَأُمَّهَاتُكُمُ» بِالْوَصْفِ: «اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ»؛ دَفْعًا
لِتَوْهُمِ أَنَّ الْمُرَادَ الْأُمَّهَاتُ فَيَكُونُ تَكَرُّارًا لِلْوَارِدِ فِي صَدْرِ الْآيَةِ.

وَإِطْلَاقُ اسْمِ الْأُخْتِ عَلَى اللَّاتِي رَضَعَتْ مِنْ ثَدْيِ مُرْضِعَةٍ مَنِ
أُضِيفَتْ الْأُخْتُ إِلَيْهِ؛ جَرَى عَلَى لُغَةِ الْعَرَبِ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي إِطْلَاقِ
اسْمِ الْأُمِّ عَلَى الْمُرْضِعِ.

وَقَوْلُهُ: «مِنَ الرِّضْعَةِ» حَالٌ مِنَ «وَأَخَوَاتُكُمُ»، وَ«مِنَ» فِيهِ
لِلتَّعْلِيلِ وَالسَّبَبِيَّةِ، فَلَا تُعْتَبَرُ أُخْوَةُ الرِّضَاعَةِ إِلَّا بِرِضَاعَةِ الْبِنْتِ مِنَ
الْمَرْأَةِ الَّتِي أَرْضَعَتْ الْوَلَدَ⁽³⁾.

جَرَضُ الْإِنْسَادِمِ
عَلَى حِفْظِ نَسْلِ
الْأُسْرِ وَتَمَاشِكِهَا

تَكْرِيمُ الرُّضْعِ
بِتَسْمِيَّتِهَا أُمًّا

(1) البدوي، من بلاغة القرآن، ص: 59.

(2) ابن عاشور، التخرير والتنوير: 4/296.

(3) ابن عاشور، التخرير والتنوير: 4/296.

وبين ﴿أَرْضَعْنَكُمْ﴾ و﴿الرَّضْعَةَ﴾ جناسُ الاشتقاق؛ تأكيداً على المراد بالأُمومة والأخوة.

نُكْتَةُ التَّعْيِيرِ بِالرَّبَائِبِ دُونَ بَنَاتِ النِّسَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَّيُّكُمْ﴾
الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ:

الرَّبَائِبُ: جمعُ ربيبة، وهي فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى: مَفْعُولَةٌ، والتَّاءُ فيها للنَّقلِ إِلَى الإِسْمِيَّةِ، والرَّبِيبُ: وَلَدُ الْمَرْأَةِ مِنْ رَجُلٍ آخَرَ، سُمِّيَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ يُرَبُّهُ غَالِبًا كَمَا يُرَبُّ وَلَدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ أَمْرًا مُطَّردًا، وَهُوَ الْمَعْنَى بِكَوْنِهِنَّ فِي الْحُجُورِ، فَإِنَّ شَأْنَهُنَّ الْغَالِبِ الْمَعْتَادِ أَنْ يَكُنَّ فِي حِضَانَةِ أُمَّهَاتِهِنَّ تَحْتَ حِمَايَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، لَا كَوْنِهِنَّ كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ.

إِجْرَاءُ الرَّبَائِبِ
مُجْرَى الْبَنَاتِ
لِاشْتِرَاكِهِنَّ فِي
بَعْضِ الْأَوْصَافِ

وفائدةُ التَّعْيِيرِ عَنْهُنَّ بِذَلِكَ تَقْوِيَةُ عِلَّةِ الْحُرْمَةِ وَتَكْمِيلُهَا، فَإِنَّ كَوْنَهُنَّ بِصَدَدِ احْتِضَانِهِمْ لِهِنَّ، وَعَلَى مَقْرَبَةِ التَّقَلُّبِ فِي حُجُورِهِمْ وَتَحْتَ حِمَايَتِهِمْ وَتَرْبِيَّتِهِمْ مِمَّا يَقْوِي الْمِلَاسَةَ وَالشَّبَهَ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ أَوْلَادِهِمْ، وَيَسْتَدْعِي إِجْرَاءَهُنَّ مُجْرَى بَنَاتِهِمْ، لَا تَقْيِيدُ الْحُرْمَةِ بِكَوْنِهِنَّ فِي حُجُورِهِمْ بِالْفِعْلِ (1).

دَلَالَةُ الْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَرَبَّيُّكُمْ﴾ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ؛ إِذْ هِيَ حَالَةُ الرَّبِيبَةِ فِي الْأَكْثَرِ، وَهِيَ مُحَرَّمَةٌ وَإِنْ كَانَتْ فِي غَيْرِ الْحِجْرِ (2)؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ الْخَارِجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ لَا مَفْهُومَ مُخَالَفَةٍ لَهُ.

التَّنْبِيْهُ عَلَى
جُكْمَةِ تَحْرِيمِ
الرَّبِيبَةِ

وقوله تعالى: ﴿فِي حُجُورِكُمْ﴾ كِنَايَةٌ عَنِ الرُّعَايَةِ وَالْحَيَاطَةِ وَالْعَطْفِ، وَغَيْرِهَا مِنْ أَنْوَاعِ الْبَرِّ الَّتِي يَحُوطُ بِهَا أَوْلَادَ زَوْجَتِهِ، وَهَذَا الْوَصْفُ جَارٍ مُجْرَى الْعَادَةِ، وَالتَّعْيِيرُ بِهِ بَيَانُ لِقُبْحِ تَزْوُجِ الرَّجُلِ بِنْتِ امْرَأَتِهِ (3).

(1) أَبُو السَّعُود، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ: 2/161.

(2) ابْنُ عَطِيَّة، الْحَرَّرُ الْوَجِيزُ: 2/32.

(3) أَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 3/1633.

الدُّخُولُ
بِالْأَمْهَاتِ يُحَرِّمُ
الْبَنَاتِ

دَلَالَةُ التَّضْمِينِ وَالْكِنَايَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾:

في قوله تعالى: ﴿وَرَبَّيْكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ تضمين، فقد ضُمَّنَ الفعلُ ﴿دَخَلْتُمْ﴾ معنى الفعل (خَلَوْتُمْ)، فيكون معنى قوله: ﴿دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ أي: دخلتُمْ وخلوتُمْ بهنَّ. ثمَّ إِنَّ هَذَا الدُّخُولَ وَالْخُلُوءَ كِنَايَةٌ عَنِ الْوُطْءِ، وَلَكِنْ عُدِلَ عَنِ التَّصْرِيحِ بِالْوُطْءِ إِلَى التَّعْبِيرِ بِالدُّخُولِ صِرَاحَةً وَبِالْخُلُوءِ إِيْمَاءً بِالتَّضْمِينِ، لَمَّا عُهِدَ فِي خُطَابِ الشَّرْعِ مَنْ سَتَرَ الْمَعَانِيَ الَّتِي قَدْ يُسْتَحْيَى مِنْ ذِكْرِهَا، وَهَذَا الْقَيْدُ الْمَذْكُورُ فِي قَوْلِهِ: ﴿الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾ يَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ عَلَى أَنَّهُ إِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي نِكَاحِ الرَّبَائِبِ، كَمَا إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ أَوْ مَتْنِ قَبْلَهُ⁽¹⁾.

تَغْيِينُ الْمُحْذُوفِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾:

قولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: في نِكَاحِ الرَّبَائِبِ، وَحُذِفَ لِدَلَالَةِ مَا قَبْلَهُ عَلَيْهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ: ﴿وَرَبَّيْكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ﴾.

وقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ تصريحٌ بِمَا أَشْعَرَ بِهِ مَا قَبْلَهُ، وَالْفَاءُ الْأُولَى ﴿فَإِنْ﴾ جِيءَ بِهَا لِتَرْتِيبِ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا، فَإِنَّ بَيَانَ حُكْمِ الدُّخُولِ مُسْتَتَبِعٌ لِّبَيَانِ حُكْمِ عَدَمِهِ⁽²⁾.

نُكْتَةُ الْعُدُولِ عَنِ (نَيْسٍ) إِلَى (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾:

جاءَ التَّعْبِيرُ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ بِ (لَا) النَّافِيَةِ لِلْجِنْسِ، وَهِيَ دَالَّةٌ عَلَى نَفْيِ جِنْسِ

حَلَّ نِكَاحِ الرَّبِيبَةِ
إِذَا لَمْ يُدْخَلْ
بِأَمِّهَا

(1) الْقَوَاجِي، فَتْحُ الْبَيَانِ: 3/73، وَالْجَمَل، الْفَتْوحَاتُ الْإِلَهِيَّة: 2/34.

(2) أَبُو السَّعُود، إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيم: 2/162.

الجُنَاحَ نَصًّا، والمراد: نفي أدنى حرج أو إثم إذا تزوّج الرجلُ بنتَ امرأته التي فارَقَها ولم يدخلَ بِهَا، "وَصِيغَةُ نَفْيِ الْجِنْسِ عَلَى سَبِيلِ التَّنْصِيصِ: صِيغَةُ تَأْكِيدٍ؛ لِأَنَّ (لَا) النَّافِيَةَ لِلْجِنْسِ فِي مَقَامِ النَّفْيِ بِمَنْزِلَةِ (إِنَّ) فِي مَقَامِ الْإِثْبَاتِ، وَلِذَلِكَ حُمِلَتْ عَلَيْهَا فِي الْعَمَلِ"⁽¹⁾، وَعُدِلَ عَنِ النَّفْيِ بِـ (لَيْسَ)؛ لَكُونِهَا تَنْفِي الْجُمْلَةَ الْأَسْمِيَّةَ عَلَى الْحَالِ غَالِبًا.

فَ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ جُمْلَةٌ أَسْمِيَّةٌ، بِخِلَافِ: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾: جُمْلَةٌ فَعْلِيَّةٌ، وَالْجُمْلَةُ الْأَسْمِيَّةُ أَقْوَى وَآكُذُّ مِنَ الْجُمْلَةِ الْفَعْلِيَّةِ؛ حَيْثُ إِنَّ الْجُمْلَةَ الْأَسْمِيَّةَ تَدُلُّ عَلَى الثُّبُوتِ، وَالْجُمْلَةَ الْفَعْلِيَّةَ تَدُلُّ عَلَى التَّجَدُّدِ وَالْحُدُوثِ، فَكَانَتْ جُمْلَةُ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أَقْوَى فِي النَّفْيِ مِنْ ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾؛ إِذِ النَّفْيُ دَرَجَاتٌ، وَلِذَا تُسْتَعْمَلُ (لَا جُنَاحَ) فِي مُهِمَّاتِ الْقَضَايَا، مِثْلَ الْعِبَادَاتِ، وَالْحَقُوقِ الزَّوْجِيَّةِ، وَالْعَقِيدَةِ، وَتُسْتَعْمَلُ (لَيْسَ) فِي الْقَضَايَا الْأَقْلَ أَهْمِيَّةً، وَرَبَّمَا كَانَتْ نَادِرَةً، كَالْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [التَّوْبَةُ: 61]، وَدُخُولِ الْبَيُوتِ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ [التَّوْبَةُ: 29]⁽²⁾.

بِدَلَالَةِ الْوُضْفِ ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحَلَّيْلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَحَلَّيْلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ أَي: مِنْ ظُهُورِكُمْ، وَوُصِفَ الْأَبْنَاءُ الَّذِينَ حُرِّمَ نِكَاحُ حَلَالِهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ لِقَصْدِ رَفْعِ الْمَجَازِ الَّذِي يَحْتَمِلُهُ لَفْظُ ﴿أَبْنَائِكُمْ﴾؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تُطَلِّقُ اسْمَ الْإِبْنِ عَلَى الْمُتَبَنَّى، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ: زَيْدُ بْنُ مُحَمَّدٍ، إِلَى أَنْ أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا

تَبْيِيْنُ اللَّهِ تَعَالَى
الْأَحْكَامَ وَدَفْعُهُ
كُلَّ مَا يَتَوَهَّمُ
مِنْهُ خِلَافُ الْمُرَادِ

(1) ابنُ عاشور، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 17/206.

(2) الْهَلَالُ، تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الثَّرِيّ، ص: 101.

أَحَدٍ مِّن رَّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴿٤٠﴾⁽¹⁾،
فكان تحليلُ نكاح زوجاتِ المُتَبَنِّينِ إمعاناً في إبطالِ التَّبَنِّيِّ وإلغائه.
دَلَالَةُ اللَّامِ فِي «الْأُخْتَيْنِ» مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ»:

تَحْرِيمُ الْجَمْعِ
بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فِي
الْوُطْءِ مُطْلَقًا

اللَّامُ فِي «الْأُخْتَيْنِ» استغراقيةٌ، فقد دخلت على اسمِ الجِنْسِ
المُثَنَّى، وهي تعمُّ عند علماء الأصول، فكانت بظاهرها مفيدةً
لعمومِ تحريمِ الجمعِ بين كلِّ أُختين، سواء أكان ذلك الجمعُ بعقدٍ أم
بملكٍ يمين، وهذه حجةُ الجمهور⁽²⁾.

وَعُدِلَ ههنا عن التعبيرِ بِـ (والجمع بين الأختين) إلى «وَأَنْ
تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ»؛ لِيُفِيدَ ذَلِكَ مُوَاجَهَتَهُمْ بِالْخِطَابِ، فيكونُ أبلغُ
في التعبيرِ عما نُهوا عنه⁽³⁾.

دَلَالَةُ الْإِسْتِثْنَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ»:

الاستثناءُ في قَوْلِهِ «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» استثناء منقطعٌ، والمعنى: لا
تجمعُوا أيُّها المؤمنون بين الأختين؛ لَأَنَّهُ مِنْ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ الْقَبِيحَةِ،
أَمَّا مَا قَدْ سَلَفَ وَمَضَى مِنْهُ قَبْلَ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ، فَلَا تُؤَاخِذُونَ عَلَيْهِ،
فَمَنْ كَانَ مَتَزَوِّجًا مِنْ أُخْتَيْنِ؛ فَإِنَّهَا تَصِيرُ حَرَامًا عَلَيْهِ مِنْ وَقْتِ نَزُولِ
هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفَارِقَ إِحَادَهُمَا، أَمَّا مَا مَضَى مِنْ
هَذَا النِّكَاحِ الْقَبِيحِ فَلَا تَثْرِيْبٌ عَلَيْكُمْ فِيهِ، وَتَبَيَّنَ بِهِ أَحْكَامُ النِّكَاحِ
مِنَ النَّسَبِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحْكَامِ.

دَلَالَةُ «مَا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ»:

«مَا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» اسْمٌ مُوصُولٌ، وَهُوَ دَالٌّ
عَلَى الْعُمُومِ، وَالْمَعْنَى: قَدْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْجَمْعَ بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ؛ لَكِنْ مَا

مِنْ حَكْمِ النَّهْيِ
عَنِ الْجَمْعِ بَيْنَ
الْأُخْتَيْنِ: حِفْظُ
الْأَرْحَامِ مِنَ
التَّقْطِيعِ

رَفْعُ الْمُوَاخَذَةِ عَنِ
الْمُحَرَّمَاتِ قَبْلَ
وُرُودِ الشَّرْعِ

(1) الزَّاعِبُ، تَفْسِيرُ الزَّاعِبِ: 3/1169، أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ الْلَحِيظُ: 3/582، وَأَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ:

3/1633.

(2) الشَّنَقِيطِيُّ، الزَّحَلَةُ إِلَى إِفْرِيقِيَا، ص: 155.

(3) ابْنُ عَرَفَةَ، تَفْسِيرُ ابْنِ عَرَفَةَ: 2/20.

مضى قبل نُزُولِ الآيةِ وقبلَ التَّحْرِيمِ مَعْفُوٌّ عَنْهُ، فهو عموم قطعِيّ، حيث يُراد به جميع أفرادُه تناولاً وحُكماً⁽¹⁾.

مُنَاسَبَةُ خَتَمِ الْآيَةِ بِاسْمِي اللَّهِ تَعَالَى: الْعُفُورِ وَالرَّحِيمِ:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ تُناسِبُ أن يكون مَعْنَى ﴿إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ تقرير ما عَقْدُوهُ مِنْ ذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَاَلْمَغْفِرَةُ لِلتَّجَاوُزِ عَنِ الْإِسْتِمْرَارِ عَلَيْهِ، وَأَمَّا الرَّحْمَةُ؛ فَلِإِيَّانِ سَبَبِ ذَلِكَ التَّجَاوُزِ⁽²⁾، أَوْ لِبَيَانِ أَثَرِ الْمَغْفِرَةِ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّ الْمَغْفِرَةَ هِيَ سَبَبُ الرَّحْمَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النمل: 46]، مع ما تَضَمَّنَتْهُ الْجُمْلَةُ مِنْ تَأْكِيدِ الْخَبَرِ بِ (إِنَّ) وَاسْمِيَّةِ الْجُمْلَةِ.

تَوْجِيهِ التَّنْشِائَةِ اللَّفْظِيَّةِ:

قال الله تعالى هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، وقال في آيةٍ أُخْرَى مِنَ السُّورَةِ نَفْسِهَا: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 96]، وَوَجْهَ التَّفْرِيقِ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْآيَةَ الْأُولَى سَاقَتْ الْمَحْرَمَاتِ بَدْءًا بِالْأَمِّ وَانْتِهَاءً بِالنَّهْيِ عَنِ الْجَمْعِ بَيْنِ الْأَخْتَيْنِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، فَلَمَّا أُريدَ تَعْلِيلُ هَذَا الْحُكْمِ وَتَقْوِيَةُ مَضْمُونِهِ لَدَى الْمُخَاطَبِينَ؛ نَاسَبَهُ فَصْلُ الْجُمْلَةِ وَتَأْكِيدُهَا بِ (إِنَّ) فَقَالَ ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

بِخِلَافِ الْآيَةِ الْأُخْرَى؛ فَقَدْ جَاءَ قَبْلُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: 95]، فَلَمَّا كَانَ الْمُتَحَدِّثُ عَنْهُ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأُريدَ الْجَمْعُ بَيْنِ الْأَخْبَارِ، وَكَانَ السِّيَاقُ خَاصًّا بِالْمُؤْمِنِينَ؛ نَاسَبَهُ الْوَصْلُ بِالْوَاوِ، وَتَرَكَ تَأْكِيدَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 96]⁽³⁾.

الْمَغْفِرَةُ سَبَبٌ
لِخُلُوعِ الرَّحْمَةِ

بِقِطْعَةِ مُلَاءَمَةٍ
خَتَامِ الْآيَاتِ
لِسِيَاقَاتِهَا

(1) الزَّائِدِيُّ، صِيغُ الْعُمُومِ وَأَنْوَاعُهُ، ص: 220.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّخْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 3/401، وَأَبُو زَهْرَةَ، زَهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 3/1636.

(3) سَعْدُ عَبْدِ الْعَظِيمِ، اسْتِدْرَاكُ مَا فَاتَ مِنْ بَلَاغَةِ الْآيَاتِ لِلتَّنْشِائِيَّاتِ، ص: 365.

❁ الفُرُوقُ الْمُعْجَمِيَّةُ

التَّحْرِيمُ وَالتَّهْيِ:

التَّحْرِيمُ: هو الحَظَرُ، وَشَيْءٌ مُحَرَّمٌ أَيْ مَحْظُورٌ، وَأَصْلُ التَّحْرِيمِ: الْمَنْعُ، يُقَالُ: حَرَّمَ الشَّيْءَ أَيْ مَنَعَ مِنْهُ وَلَمْ يُجِزْهُ، وَضِدُّهُ الْإِبَاحَةُ وَالْإِذْنُ وَالْجَوَازُ، وَيَكُونُ التَّحْرِيمُ إِمَّا بِتَسْخِيرِ إِلَهِيٍّ، وَإِمَّا بِشَرِيٍّ، وَإِمَّا بِمَنْعٍ قَهْرِيٍّ، وَإِمَّا بِمَنْعٍ مِنْ جِهَةِ الْعَقْلِ، أَوْ مِنْ جِهَةِ الشَّرْعِ، أَوْ مِنْ جِهَةٍ مِنْ يُرْتَسَمُ أَمْرُهُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: 23]، هَذَا مُحَرَّمٌ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ مُقْتَضٍ طَلَبَ تَرْكِ الْفِعْلِ جُزْأً⁽¹⁾.

وَأَمَّا النَّهْيُ فَهُوَ الْكَفُّ وَالزَّجْرُ وَالْمَنْعُ، وَمِنْهُ النَّهْيَةُ وَهِيَ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ صَاحِبَهُ مِنَ الْقَبِيحِ، وَأَصْلُ النَّهْيِ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ وَهُوَ التَّوَقُّفُ عِنْدَ حَدٍّ مَعْلُومٍ، وَضِدُّهُ: الْأَمْرُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾، وَالنَّهْيُ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى لَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بِالْقَوْلِ أَوْ بغيره، وَمَا كَانَ بِالْقَوْلِ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ بِلَفْظَةِ (افْعَلْ)، نَحْوُ: اجْتَنِبْ كَذَا، أَوْ بِلَفْظَةِ (لَا تَفْعَلْ)، وَكَذَلِكَ النَّهْيُ لَا فَرْقَ بَكُونِهِ بِالْقَوْلِ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ، وَيُطْلَقُ عَلَى طَلَبِ تَرْكِ الْفِعْلِ مُطْلَقاً سِوَاهُ كَانَ مِنَ الْأَعْلَى لِلْأَدْنَى، أَمْ بِالْعَكْسِ⁽²⁾.

لِذَا نَاسَبَ التَّعْبِيرُ فِي سِيَاقِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِلَفْظِ "التَّحْرِيمِ"؛ لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ تَرْكِ الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ - فِي الْمَحْرَمَاتِ مِنَ النِّسَاءِ - عَلَى وَجْهِ الْجَزْمِ وَالْقَطْعِ.

(سَلَفٌ) وَ(مَضَى):

السَّلَفُ: الْمُتَقَدِّمُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [التَّحْرِيفُ: 56]، أَيْ: مُعْتَبَرًا مُتَقَدِّمًا، وَكَذَا قَوْلُهُ: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾، أَيْ: مَا تَقَدَّمَ مِنْ فِعْلِكُمْ؛ فَذَلِكَ مُتَجَافٍ عَنْهُ.

الْمَضْيُ وَالْمَضَاءُ: النَّفَازُ، وَيُقَالُ ذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَحْدَاثِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَضَى مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [التَّحْرِيفُ: 8]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنْتُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الْأَنْفَالُ: 38]⁽³⁾.

وَنَاسَبَ التَّعْبِيرُ فِي السِّيَاقِ الْمُبَارَكِ بـ (سَلَفٌ) لِمَقَامِ النَّهْيِ عَنْ عَادَةِ نِكَاحِ هَؤُلَاءِ

(1) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن سيدة، الحكم، والزَّاعِبُ، للفردات: (حرم)، والطوفي، شرح مختصر الروضة: 1/262.

(2) الجوهري، الصحاح، وابن سيدة، الحكم، الزَّاعِبُ، للفردات: (نهي)، والسمعاني، قواطع الأدلة: 1/251.

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مضي)، (سلف)، والزَّاعِبُ، للفردات: (سلف)، (مضي).

المحرّمات من النساء؛ إذ كان هذا العمل ممتدّاً في أيام الجاهلية وفاشياً فيها، وقد دأب عليه المأزون منهم الآباء، ومن كان قبلهم.

الغفور والغفار:

الغفور من أسماء الله الحسنى، وهو: الذي يستر ذنوب عباده، ويتجاوز عنها، ويقيهم آثامها بالغو عنها، وهو بمعنى اسمه (الغفار)، لكنّه يُنبئ عن نوع مبالغة لا يُنبئ عنها (الغفار)؛ فالفعولُ يُنبئ عن جودّة الفعل، وكماله، وشموله، فهو بمعنى تامّ المغفرة. فالفرق بينه وبين (الغفار) أنّ المبالغة فيه من جهة الكيفيّة، وفي الغفار باعتبار الكميّة⁽¹⁾.

الرحمن والرحيم:

لا يُطلق الرحمنُ إلّا على الله تعالى من حيث إنّ معناه لا يصحُّ إلّا له؛ إذ هو الذي وسع كلّ شيءٍ رحمةً، والرحيمُ يستعمل فيه سبحانه وفي غيره؛ وهو الذي كثرت رحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: 182]، وقال في صفة النبيّ ﷺ: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: 128]، وقيل: إنّ الله تعالى هو رحمنُ الدُّنيا، ورحيمُ الآخرة، وذلك أنّ إحسانه في الدُّنيا يعمُّ المؤمنين والكافرين، وفي الآخرة يختصُّ بالمؤمنين، وعلى هذا قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: 156]؛ تنبيهاً أنّها في الدُّنيا عامّة للمؤمنين والكافرين، وفي الآخرة مختصة بالمؤمنين⁽²⁾.

(1) الألوّسي، روح اللعاني: 5/411.

(2) الراغب، المفردات: (رحم)، وتفسير الراغب: 1/51.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس، سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1444هـ - 2023م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2023م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء [إشراف مجمع

القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2023.

مج. 6، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-798-58-3

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 6: سورة آل عمران من الآية 141 إلى الآية 23 من سورة النساء.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي: 978-9948-798-58-3

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-2475776 بتاريخ 2023/03/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»